الضمائر المنعكسة في اللغة العربية

دكتور محمود أحمد نحلة
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية
كلية الآداب - جامعة بيروت العربية

دار العلوم العربية
بيروت - لبنان

دار العلوم العربية

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ ١٩٩٠م

الناشر
دار العلوم العربية
للطباعة والنشر
مقابل جامعة بيروت العربية
بناية عناني
هاتف: ٣٠٧١٧٣
ص.ب: ٩٥٣٥-١١
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يـزال الدرس النحـوي العربي القـديم في حاجة إلى قراءة معاصرة تفيد من اتجاهات الـدرس الحـديث ، ومناهجـه ، وطرائقـه في رصد الـظواهر اللغـوية ، ومعـالجتها على نحـو مضبـوط ، ويمكن الكشف بها عن ظواهر لم يعرض لها النحاة القدماء ومن صدر عن منهجهم من المحدثين ، أو عرضوا لها ولكن لم يـوفـوهـا حقهـا من البحث الكـاشف لهـا والمحيط بهـا . وليس من شـك في أن أجيـالاً من البـاحثين ـ وبخـاصـة من اتصـل منهم بعلم اللغـة الحـديث دراسة وفهمـاً ـ حاولـوا ، ويحاولـون الآن الإفـادة من جهود علمـاء اللغة المحـدثين في أوربا وأمـريكا في تجـديد نـظرتهم لتراثنـا النحوي كله ، والكشف عن كنوزه المخبوءة ، وإثـرائه ، والإضـافة إليه، وإبراز عناصر القوة فيه، وإصلاح ما قد يكون فيه من جوانب النقص والقصور .

والنحاة العرب لم يعرفوا مصـطلح « الضمائـر

المنعكسة » reflexive pronouns وإن عرفوا بعض ما يدخل فيه ، ويندرج تحته ، وعرفه نحاة بعض اللغات الأخرى ، واستخدموا لما يدل عليه مصطلحاً بديلاً هو « الأفعال المنعكسة »[1] reflexive verben وهم يرون أن الضمير يكون منعكساً إذا كان مفعولاً للفعل ، متحداً coreferential مع الفاعل أو عائداً إليه[2] ، والأفعال المنعكسة عندئذ هي الأفعال التي يكون معها الفاعل والمفعول به متطابقين أو عائدين إلى شخص واحد[3] .

وقد عرف نحاة العربية هذه الظاهرة من خلال درسهم لما أسموه « أفعال القلوب » وهي عند بعضهم سبعة أفعال : ظن ، وحسب ، وخال ، وزعم ، وعلم (إذا لم تكن بمعنى عرف) ، ورأى (إذا لم ترد رؤية

---

(١) Gerbe, P.: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache Duden 4 (Mannheim 1973) S. 75.

(٢) Perlmutter, D. & Soames, S. : Syntactic Argumentation and the Structure of English (U.S.A 1979) p.9.

(٣) Helbig, G. & Buscha, J. : Deutsche Grammatik (Leipzig 1980) S.65.

العين) ووجد (إذا لم ترد وجدان الضالة)[1] . وأضاف إليها بعضهم « عدم » ، و« فقد) إذا كانتا للدعاء ، « وهَبْ » (بمعنى احسب)[2] وذكروا أن من خصائصها « أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول : علمتُني منطلقاً ووجدتَكَ فعلتَ كذا ، ورآه عظيماً ، وقد أجرت العرب عدمت وفقدت مجراها ، فقالوا « عدمتُنِي وفقدتُنِي »[3] . ولما كان هذا من خصائص « أفعال القلوب » فقد نصوا على أن ذلك لا يجوز في غيرها ، بل يتوصل إلى التعبير عن هذا المعنى في غير أفعال القلوب بطريقة أخرى سنعرض لها .

ونود قبل الخوض في وصف هذه الظاهرة تركيبياً ودلالياً أن نعرض لما جاء عنها في كتب النحو العربي ، لنقف على ما وصلوا إليه فيها ، ونعرف أي

---

(١) سيبويه : الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٨٧) ٢ /٣٦٧ ، الزمخشري : المفصل في علم العربية (بيروت د . ت) ص ٢٥٩ .

(٢) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ ، الرضى : شرح الكافية لابن الحاجب (القاهرة ١٣١٠هـ) ٢ / ٢٨٥ .

(٣) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ .

مدى بلغوه في الكشف عنها والإحاطة بها :

جاء في كتاب سيبويه : « هذا باب لا تجوز فيه علامة المضمر المخاطب ، ولا علامة المضمر المتكلم ، ولا علامة المضمر المحدث عنه الغائب ، وذلك أنه لا يجوز لك أن تقول للمخاطب : اضربْكَ ، ولا اقتُلْكَ ، ولا ضربْتَكَ ، لما كان المخاطب فاعلاً وجعلت مفعوله نفسه قبح ذلك ، لأنهم استغنوا بقولهم اقتُل نفسَك وأهلكتَ نفسَك ، عن الكاف ها هنا وعن إياك .

وكذلك المتكلم ، لا يجوز له أن يقول أهلكتُنِي ولا أُهْلِكُنى لأنه جعل نفسه مفعوله فقبح ، وذلك لأنهم استغنوا بقولهم أنفع نفسي عن « ني » ، وعن « إياي » .

وكذلك الغائب لا يجوز لك أن تقول ضربه إذا كان فاعلاً وكان مفعوله نفسه ، لأنهم استغنوا عن الهاء وعن إيا بقولهم ظلم نفسه وأهلك نفسه ، ولكنه قد يجوز ما قبح ها هنا في حسبت وظننت وخلت، وأرى وزعمت ، ورأيت إذا لم تعن رؤية العين ، ووجدت إذا لم ترد وجدان الضالة ، وجميع حروف الشك ،

وذلك قولك حسبتُني وأراني ووجدتُنِي فعلت كذا وكذا ، ورأيتُنِي لا يستقيم لي هذا . وكذلك ما أشبه هذه الأفعال ، تكون حال علامات المضمرين المنصوبين فيها إذا جعلت فاعليهم أنفسهم كحالها إذا كان الفاعل غير المنصوب .

ومما يثبت علامة المضمرين المنصوبين ها هنا أنه لا يحسن إدخال النفس ها هنا . لو قلت يظن نفسه فاعلة وأظن نفسي فاعلة على حد يظنه وأظنني ليجزىء هذا من ذا لم يجزىء كما أجزأ أهلكت نفسَكَ عن أهلكتَكَ ، فاستغنى به عنه . . . وإذا أردت برأيت رؤية العين لم يجز رأيتُنِي ، لأنها حينئذ بمنزلة ضربت »[1] .

وجاء فيه أيضاً : « ولا يجوز أن تقول ضربتُنِي ، ولا ضربتُ إياي ، لا يجوز واحد منهما لأنهم استغنوا عن ذلك بضربتُ نفسي ، وإياي ضربتُ »[2] .

هذان النصان النفيسان من كتاب سيبويه تردد صداهما من بعد في كتب النحاة الخالفين ، وأضاف

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢ /٣٦٦ ـ ٣٦٨ .

(٢) السابق ٢ /٣٦٦ .

بعضهم إلى ما جاء فيهما تفصيلات من الأهمية بمكان ، سنعرض لها إن شاء الله .

ويمكننا أن نلحظ في كلام سيبويه ما يأتي :

١ ـ فهم سيبويه ظاهرة « الانعكاس » كما فهمها نحاة الغرب ، دون أن يضع لها مصطلحاً خاصاً كما فعلوا ، بل جعلها جزءاً من تعديه الفعل إلى المفعول ، فالرجل يدرك ما حددوا به معنى « الانعكاس » ، وهو أن يوقع الفاعل الفعل بنفسه ، فيكون الفاعل مفعولاً به ، وعبارته صريحة في ذلك : « . . . لما كان المخاطب فاعلاً ، وجعلت نفسه مفعوله . . . » ، « . . . لا يجوز له أن يقول أهلكتُنِي ولا أُهلِكُنى لأنه جعل نفسه مفعوله . . . » .

٢ ـ حدد سيبويه الضمائر التي تحمل هذا المعنى بضمائر النصب والجر المتصلة وهي ياء المتكلم وكاف المخاطب ، وهاء الغائب ، ثم « إيا » مقدمة مضافاً إليها ضمائر التكلم والخطاب والغيبة ، واستبعد بذلك أن تحمل ضمائر الرفع هذا المعنى ، ومثل هذا نجده عند نحاة

الألمانية ، إذ ينصون على أن الضمائر المنعكسة لا تستخدم إلا في حالتي النصب والجر ، ولا يمكن أن تستخدم في حالة الرفع[1] .

٣ ـ ذكر سيبويه أن هذه الضمائر ترد مباشرة مع بعض الأفعال ، وقد ترد مسبوقة بكلمة « نفس » أو «إيا » . وواضح أن سيبويه يسوى بين قولك :

ضربتُ نفسي ، وإياي ضربتُ ، ومع أنه يمنع : ضربتُ إياي ، فقد أورد في موضعين من كتابه شاهدا يدل على استخدامه ، هو قول ذي الإصبع العدواني :

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَّى إِنْـ ... ـنَمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا[2]

أي : نقتل أنفسنا ، وقد حمل سيبويه هذا الشاهد على الضرورة .

---

(١) Grebe, P. Grammatik der deutschen Gegenwartssprache Duden 4 S. 276.

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ١١١ ، ٣٦٢ ، والرضى : شرح الكافية ٢ /١٤ .

٤ ـ ما ذكره سيبويه يدل على أن الأفعال مع الضمائر المنعكسة تتصرف تصرفها مع غيرها فترد ماضية ، ومضارعة ، وأفعال أمر ، وقريب من ذلك موجود في غير العربية أيضاً كاللغة الألمانية ، فإن الأفعال المنعكسة فيها تستخدم من حيث الزمن Tempus ودلالة الصيغة Mudus استخدام الأفعال غير المنعكسة(١) .

٥ ـ عرض سيبويه لتوزيع(٢) هذه الضمائر محدداً استخدامها الصحيح والمواضع التي تخرج فيها على الصحة النحوية ، ويمكننا أن نوضح ذلك على النحو الآتي :

(١) أ ـ *(أنا) ضربتُنِي
ب ـ *(أنت) ضربتَكَ
جـ ـ *(هو)ضربَهُ

---

(١) Helbig & Buscha: Deutsche Grammatik S. 176.

(٢) انظر في توزيع الضمائر المنعكسة وغير المنعكسة في اللغة الإنجليزية :

Perlmutter & Soames: Syntactic Argumentation p. 8

(٢) أ ـ (أنا) ضربتُ نفسي (إياي ضربتُ) .
ب ـ (أنت) ضربتَ نفسك (إياك ضربتَ) .
جـ ـ (هو) ضربَ نفسه (إياه ضَرَبَ) .

(٣) أ ـ *(أنا) ظننتُ نفسي مجتهدا
ب ـ *(أنت) ظننتَ نفسَك مجتهدا
جـ ـ *(هو) ظنّ نفسَه مجتهدا

(٤) أ ـ (أنا) ظننتُني مجتهدا .
ب ـ (أنت) ظننتَكَ مجتهدا .
جـ ـ (هو) ظنَّهُ مجتهدا .

بمقارنة هذه المجموعات يتضح أن الضمائر المتصلة التي تتحد مع الفاعل أو تعود إليه نوعان : ضمائر مسبوقة بكلمة نفس ، وضمائر غير مسبوقة بها ، وحيث تجوز هذه لا تجوز تلك ، وهي في الحالة الثانية مفعول مباشر للفعل ، وفي الحالة الأولى انتقل حكم الضمير إلى كلمة نفس ، فوقعت مفعولاً به ، وأضيف الضمير إليها . والأفعال التي يرد معها ضمير المفعول عائداً على ضمير الفاعل غير مسبوق بكلمة « نفس » أفعال محدودة ، تكون مجموعة

« مغلقة » من الأفعال حددها النحاة بعشرة أفعال ، أما الأفعال التي يرد ضمير المفعول معها عائداً على ضمير الفاعل مسبوقاً بكلمة « نفس » فهي مجموعة « مفتوحة » تشمل سائر الأفعال .

وإذا جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم (١) بنية باطنة عميقة deep structure « تحولت » في الأمثلة التي وردت في رقم (٢) إلى بنية سطحية ظاهرة surface structure جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم (٣) بنية باطنة « تحولت » في الأمثلة التي وردت في رقم (٤) إلى بنية سطحية ظاهرة، وإذا جاز أن يكون الضمير المنعكس مسبوقاً بـ « نفس » أو « إيّا » في رقم (٢) ، فإنه لا يجوز أن يكون كذلك في رقم (٤) . ويجوز لنا بعد ذلك أن نضع قاعدتين إجباريتين « تتولد » بهما الضمائر المنعكسة ، وتشملان المادة اللغوية السابقة الواردة في كتاب سيبويه :

القاعدة الأولى :

إذا كان الضمير مفعولاً أول لفعل من أفعال القلوب عائداً على الفاعل كان ضميراً منعكساً .

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة نفس أو إيّا كان ضميراً منعكساً .

وعلى أساس من هاتين القاعدتين يمكن استبعاد أن تكون الضمائر في الأمثلة الآتية ضمائر منعكسة :

(٥) أ ـ (أنا) ضربتُك .
ب ـ (أنا) ضربتُه .

(٦) أ ـ (أنت) ضربتَنى .
ب ـ (أنت) ضربتَه .

(٧) أ ـ (هو) ضربنى .
ب ـ (هو) ضربك .

(٨) أ ـ (أنا) ظننتُك . . .
ب ـ (أنا) ظننتُه . . .

(٩) أ ـ (أنت) ظننتَنى . .
ب ـ (أنت) ظننتَه . . .

(١٠) أ ـ (هو) ظنَّنى . . .
ب ـ (هو) ظنَّك . . .

كذلك لا يمكن أن « تتولد » بهما التراكيب السطحية الآتية :

(١١) أ ـ *(أنا) ضربتُ نفسَك .

ب ـ *(أنا) ضربتُ نفسَه .

(١٢) أ ـ *(أنت) ضربتَ نفسي .

ب ـ *(أنت) ضربتَ نفسه .

(١٣) أ ـ *(هو) ضرب نفسي .

ب ـ *(هو) ضرب نفسك .

(١٤) أ ـ *(أنا) ضربتُني .

ب ـ *(أنت) ضربتَك .

جـ ـ *(هو) ضربَه .

(١٥) أ ـ *(أنا) ظننتُ نفسي ...

ب ـ *(أنا) ظننتُ نفسَك ...

جـ ـ *(أنا) ظننتُ نفسَه ...

(١٦) أ ـ *(أنت) ظننتَ نفسَك ...

ب ـ *(أنت) ظننتَ نفسي ...

جـ ـ *(أنت) ظننتَ نفسَه ...

(١٧) أ ـ *(هو) ظن نفسه ...

ب ـ *(هو) ظن نفسي . . .

جـ ـ *(هو) ظن نفسك . . .

ولا يمكن بهما أيضاً إنتاج جمل « نحوية » في البنية السطحية مثل :

(١٨) أ ـ *نفسي ضربتني .

ب ـ *نفسُك ضربتك .

جـ ـ *نفسُه ضربته .

ولنشر الآن إلى ملحظ نراه ضرورياً في المادة اللغوية السابقة ، فقد حكمنا على (١٤جـ) : هـو ضربه بأنها غير صحيحة نحوياً ، بناء على القاعدة الثانية على أساس أن الضارب هـو المضروب كما يمكن إيضاح ذلك بالطريقة الآتية :

هــو ضربــه
م م

لكن هذه الجملة تحتمل أن يكون الضارب فيها غير المضروب ، فلا يعود فيها ضمير المفعول على ضمير الفاعل ، كما يمكن إيضاح ذلك بالطريقة الآتية :

هــو ضربــــه

أ ب

ولذلك لا بـد من العودة إلى البنيـة الباطنـة التي تحتوي على الخبر المراد ، فإذا كان الضارب فيها هو المضروب انطبقت عليها القاعدة الثانية فولدت منها الجملة الصحيحة نحوياً وهي : هو ضـرب نفسه ، وإن كان الضارب فيها غير المضـروب تولـدت هذه البنية : هو ضربه الصحيحة نحوياً ، وبهذا نعلم أن من التراكيب السطحيـة الظاهـرة ما لا يمكن الحكم عليه بالصحة النحوية أو انتفائها عنه إلا بعد العودة إلى البنية الباطنـة العميقة . وهـذا الأمر غيـر متحقق في المادة اللغوية السابقة إلا في ضمير الغائب .

ولعل من اللازم الآن أن نختبر انطباق القاعدتين اللتين وضعناهما بنـاء على ما ورد من أمثلة في كتـاب سيبويه على مادة لغوية مستعملة في أوثق نص عربي وأجدره بالاعتماد عليه ، وهو القرآن الكريم . والأمر في القاعدة الأولى هين ميسور ، إذ الضمائر المنعكسة « تولد » بها مع مجموعة « مغلقة » من الأفعال محددة كما ذكرنا بعشرة أفعال ، فإذا ذهبنا نلتمس لها دليلاً

من القرآن الكريم وجدنا أنه لم يرد من أفعال القلوب التي يعـود مفعولهـا الأول على فاعلهـا غير الفعـل المضارع « يرى » مسنداً إلى ضمير المتكلم ، وذلك في قوله تعالى :

ــ ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إنّى أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تأْكُل الطَّيْرُ مِنْه

(يوسف ٢٦)

وغير الفعل « رأى » مـاضياً مسنـداً إلى ضمير الغائب كما في قوله تعالى :

ــ ﴿ كَـلاَّ إنَّ الإنْـسَـانَ لَيَـطْغَـى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (العلق ٧)

والقاعدة منطبقة عليهما ، فالضمير مفعول أول لفعل من أفعال القلوب عائد على الفاعل ، فهو إذن ضمير منعكس .

فـإذا تتبعنا استخـدام القـرآن الكـريم لأفعـال القلوب التي وردت فيه استخدامـاً انعكاسيـاً وهي : ظن ، وحسب ، ورأى ، وعلم ، تبين لنا أن القرآن

الكـريم يدخـل في عدد من المـواضـع « أنَّ » على الضمير المنعكس على الفاعل ، وأكثر ما يكون ذلك مع الغائب منعـاً للبس الذي أشـرنا إليـه في المثال (١٤ جـ) ، وذلك في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَا نِعَتُهُم حُصُونُهم مِن الله ﴾ (الحشر ٢)

ـ ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِم ﴾ (يونس ٢٢)

ـ ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم قَدْ كُذِبُوا ﴾ (يوسف ١١٠)

ـ ﴿ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُوَاقِعُوها ﴾ (الكهف ٥٣)

ـ ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو رَبِّهِم ﴾ (البقرة ٤٦)

ـ ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُو الله . . . ﴾ (البقرة ٢٤٩)

ـ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُون ﴾ (الأعراف ٣٠)

ـ ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُون أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعا ﴾ (الكهف ١٠٤)

ـ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم عَلَى شَيْء ﴾ (المجادلة ١٨)

ـ ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُم قَد ضَلُّوا ﴾

(الأعراف ١٤٩)

وظاهر أن الضمير إذا اتصل بالضمير دون أن تفصل بينهما « أنَّ » فقيل : فظنوهم ، أو : يحسبونهم ، أو : رأوهم ، أدى ذلك إلى اللبس في البنية السطحية الظاهرة فالضمير عندئذ يحتمل العودة على الفاعل فيكون ضميراً منعكساً ، والعودة على غير الفاعل فيكون غير منعكس .

والقرآن الكريم يلجأ إلى ذلك أيضاً إذا كان الفاعل مفصولاً عن ضمير النصب المنعكِس عليه ، إذ لا يمكن عندئذ اتصال الضمير بالفاعل ، فوسطت « أنَّ » بينهما ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْها ﴾

(يونس ٢٤)

ـ ﴿ أَلَا يَظُنُّ أولئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُون ﴾

(المطففين ٤)

ـ ﴿ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُك ﴾

(الصافات ١٠٢)

وقد فصلت « إنَّ » المكسورة الهمزة بين الفاعل

الظاهر والضمير المنعكس عليه في موضـع واحد في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَت الْجِنَّةُ إِنَّهُم لَمُحْضَرُون

(الصافات ١٥٨)

وعلى أساس مما عرضناه من مادة لغوية ينبغي أن نعود إلى القاعدة الأولى التي وضعناها بناء على ما ورد في كلام سيبويه والنحاة من بعده ، فنجري عليها التعديل الآتي :

القاعدة الأولى :

إذا كـان مع أفعـال القلوب ضمير عـائد على الفاعل كان ضميراً منعكساً .

وننتقل الآن لننظر فيما تنطبق عليه القاعدة الثانية من القرآن الكريم ، فقد ورد فيه قوله عز وجل :

ـ ﴿ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَه﴾ (البقرة ١٣٠)
ـ ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه﴾ (البقرة ٢٣١)
ـ ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ (النمل ٤٤)
ـ ﴿ ظَلَمْتُم أَنْفُسَكم ﴾ (البقرة ٥٤)

ـ ﴿ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ (الأحزاب ٥٠)

ـ ﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُم ﴾ (الحديد ١٤)

ـ ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهم (الأعراف ٩)

ـ ﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي ﴾ (يوسف ٥٣)

ـ ﴿ مَنْ يَشْرِى نَفْسَه ﴾ (البقرة ٢٠٧)

ـ ﴿ يَظْلِمْ نَفْسَه ﴾ (النساء ١١٠)

ـ ﴿ لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ﴾ (المائدة ٢٥)

ـ ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُم ﴾ (البقرة ٤٤)

ـ ﴿ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُم ﴾ (البقرة ١٨٧)

ـ ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكم ﴾

(التوبة ٣٦)

ـ ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم ﴾ (النجم ٣٢)

ـ ﴿ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ (النساء ٤٩)

ـ ﴿ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُم ﴾ (النساء ١٠٧)

ـ ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُم ﴾

(النساء ١١٣)

ـ ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم ﴾

(الأنعام ٢٦)

ـ ﴿ وَلَا أَنفُسَهُم يَنْصُرون ﴾

(الأعراف ١٩٢)

ـ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ (الكهف ٢٨)
ـ ﴿ وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾ (إبراهيم ٢٢)

وواضح أن القاعدة الثانية تنطبق انطباقاً تاماً على العبارات القرآنية السابقة مع تعديل طفيف فيها على النحو الآتي :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) كان ضميراً منعكساً .

وواضح أيضاً أن الضمير في النصوص السابقة لم يرد مسبوقاً بـ (إيّا) ، لكن ورد في كلام سيبويه ما يجيز نحو (إياي ضربتُ) .

فوجب أن يضاف إلى القاعدة فتصبح :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو بكلمة (إيّا) كان ضميراً منعكساً .

على أنّا قد وجدنا في القرآن الكريم شاهدا بنى فيه الفعل للمجهول ، فلم ينعكس الضمير على الفاعل ، بل انعكس على نائب الفاعل ، وذلك في قوله تعالى :

ـ ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ (النساء ٨٤)

من ثم وجب أن تعدل القاعدة مرة أخرى لتصبح :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل أو نائبه في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو بكلمة (إيا) كان ضميراً منعكساً .

ولما كانت كلمة (نفس) أو جمعها ، وكلمة (إيا) ترد كل منهما ملازمة للضمير المنعكس لا تنفك عنه ، ولا ينفك عنها أو يذهب عن الضمير معنى الانعكاس ، وتصبح الجملة التي يرد فيها « غير نحوية » ، فإننا نبيح لأنفسنا أن نطلق على الضمير المسبوق بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) ، أو المسبوق بكلمة (إيا) مصطلح « ضميمة منعكسة » ليتيسر لنا الوصف التركيبي والدلالي لها .

أولاً : الوصف التركيبي :

أ ـ مع أفعال القلوب :

١ ـ الضمائر المنعكسة مع أفعال القلوب لا تكون إلا ضمائر تكلم أو خطاب أو غيبة في محل نصب وتنعكس على الفاعل ضميراً أو اسماً ظاهراً ، غير مفصولة عنه ، أو مفصولة عنه بـ (أنَّ) أو (إنَّ) . والنحاة يجعلون من خصائص هذه الأفعال أن ضمير الفاعل فيها يتعدى إلى ضمير المفعول ، ولا يلتفتون إلى فاعلها الظاهر ، ولا إلى توسط (أنَّ) أو (إنَّ) بين الفاعل والضمير المنعكس عليه ، لأن شأنها في ذلك شأن سائر الأفعال غير المنعكسة المتعدية إلى مفعولين ، يقول ابن السراج : « ويجوز في باب ظننت وحسبت أن يتعدى المضمر إلى المضمر »[1] . ويقول الزمخشري : « ومنها (أي من

---

(١) ابن السراج : الأصول في النحو . تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي (بيروت ١٩٨٧)[٢] ٢ / ١٢١ .

خصائصها) أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول : علمتُني منطلقاً ، ووجدتَكَ فعلتَ كذا، ورآه عظيماً »[1] . وقال ابن يعيش في شرحه لعبارة الزمخشري : « وأما أفعال القلوب التي هي ظننت وأخواتها فإنه يجوز ذلك فيها ويحسن ، فيتعدى « ضمير » الفاعل فيها إلى « ضمير » المفعول الأول دون الثاني فتقول : ظننتُنِي غنياً ، وحسبتَكَ غنياً ، وذلك لأن تأثير هذه الأفعال إنما هو في المفعول الثاني ، ألا ترى أنّ الظن والعلم إنما يتعلقان بالثاني ، لأن الشك وقع فيه ، والأول كان معروفاً عنده ، فصار ذكره كاللغو فلذلك جاز أن يتعدى ضمير الأول إلى الثاني ، لأن الأول كالمعدوم ، والتعدي في الحقيقة إلى الثاني ، وقوله : « رآه عظيماً » في المثال ، يريد : إذا كان المفعول الأول هو الفاعل المضمر في « رأى » فاعرفه »[2].

---

(١) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل (المنيرية ، القاهرة د . ت) ٧ /٨٨ .

ويقول الرضى في شرح الكافية : هذه الأفعال المذكورة في متن الكافية ، ولفظة « هَبْ » بمعنى احسب، و«رأى» الحلمية يجوز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين متحدى المعنى نحو : علمتُنِي قائماً ، وقال تعالى : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾(١) وقال السيوطي : لا يجوز أن يكون الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لشيء واحد في فعل من الأفعال إلا في ظننت وأخواتها ، وفي فقدت وعدمت . قاله البهاء النحاس في تعليقه على المقرب »(٢) .

٢ ـ جوز بعض النحاة ورود الفاعل مع هذه الأفعال اسماً ظاهراً نحو : ظنه زيد قائماً ، فإذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يعود على المفعول الظاهر لم يجز نحو : زيداً ظن منطلقاً(٣) وقال الرضي : « والقياس جواز : ظن زيدٌ زيداً قائماً ، أي

---

(١) الرضى : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨٥ .

(٢) السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو (بيروت ١٩٨٤) ٢ /٥١ .

(٣) الرضى : شرح الكافية في النحو ٢ /٢٨٦ .

نفسه »[1] .

والأصوليون من النحاة على أنه إن وجب القياس لشيء حكماً ، وجاز أن يأتي السماع بضده فالرأي الأخذ بالقياس حتى يرد ما يبين ذلك[2] .

٣ ـ يمكن أن يحل اسم آخر محل الضمير المنعكس ، من ثم فالضمير المنعكس عنصر من العناصر المكملة للجملة ، على أن هذا العنصر مطلوب من الفعل على وجه اللزوم ، فلا يجوز حذفه . يقول ابن السراج : « . . . وإنما حقه أن يتعدى فعل المضمر إلى المضمر ، وتكون أيضاً قد جعلت المفعول الذي هو فضلة في الكلام لا بد منه وإلا بطل الكلام »[3] .

ولا يقتصر استعمال أفعال القلوب على الضمائر المنعكسة ، بل كما تستعمل هذه الأفعال منعكسة تستعمل غير منعكسة فنقول

---

(١) السابق، نفسه .

(٢) انظر : ابن جنى : الخصائص . تحقيق محمد علي النجار (القاهرة ١٩٥٢) ١ /١٢٥ .

(٣) ابن السراج : الأصول ٢ /١٢١ .

مثلاً : ظننت زيداً قائماً ، أو : ظننتُك قائمـاً ، أو : ظن زيدٌ عمراً قائماً .

٤ ـ لا يمكن أن ينعكس الضمير مع أفعـال القلوب على « نائب الفاعل » ، ولا أن تبنى هذه الأفعال للمجهول إذا اتصل بها ضمير منعكس ، مع انها أفعال متعدية إلى مفعولين ، ومن ثم نعدها حالة خاصة من حالات التعدى ، وتتفق هذه الأفعال من هذه الناحية مع الأفعال المنعكسة في اللغة الألمانية[١] .

٥ ـ يطابق الضمير المنعكس مع هذه الأفعال الفاعل في الشخص والنوع والعدد .

٦ ـ يجوز أن يتقدم الضمير المنعكس مع هذه الأفعال على الفاعل ، كما اتضح ذلك في المثال الذي أورده الرضي ، وهو : ظنه زيدٌ قائماً[٢] ، فقـد تقـدم الضمير المنعكس ، وفصـل الفاعـل بين المفعولين .

---

(١) Gerebe, P. : Grammatik der deutschen Gegenwarts-Sprache Duden 4. S. 75.

(٢) الرضي : شرح الكافية ٢ /٢٨٦ .

ب ـ مع غير أفعال القلوب :

١ ـ الضمائر المنعكسة مع هذه الأفعال ضمائر تكلم وخطاب وغيبة ، مسبوقة بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) ، أو بكلمة (إيّا) . ويرى رايت أن الضمير قد يرد مسبوقاً بكلمة نفس ، أو عين ، أو وجه ، (وفي العربية المتأخرة : روح ، ذات ، حال) مثل قتل نفسه ، عزّ به نفسك ، أهلكتُ روحي ، أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّه »(١). وقد رأينا أن نطلق على الضمير المنعكس المسبوق بكلمة نفس أو ما يشبهها مصطلح « ضميمة منعكسة »(٢) .

---

(١) Wright, W. A Grammar of the Arabic Language (Beirut 1974³) II P. 272.

(٢) يطلق نحاة الإنجليزية على . myself etc وأمثالها مصطلح « الضمير المنعكس » ، ويطلق عليه بعضهم « الضمير المركب » (compound pronoun) راجع :
Thomson & Martinet: A Practical English Grammar. Oxford 1980 P.41, Zandvoort: A Handbook of English Grammar. London 1975 P.144.

٢ ـ ترد الضميمة المنعكسة في القرآن الكريم في موقع المفعول به لفعل ماض ، أو مضارع ، أو أمر كما ظهر في الشواهد القرآنية التي ذكرناها .
وقد ترد مفعولاً ثانياً لفعل متعد إلى مفعولين من غير أفعال القلوب ، وفي هذه الحالة يفصل الفاعل بين المفعولين كما في قوله تعالى :
ـ ﴿ وَيُحَذِّرُكُم اللَّهُ نَفْسَه ﴾ (آل عمران ٢٨)
وترد مفعولاً به للمصدر كما في قوله تعالى :
ـ ﴿ تَخَافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أَنْفُسَكم ﴾
(الروم ٢٨)
وقوله عز وعلا :
ـ ﴿ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُم ﴾
(غافر ١٠)
وترد مفعولاً به لاسم الفاعل كما في قوله جل وعز :
ـ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِم ﴾
(الكهف ٦)
وترد مفعولاً به لاسم الفعل كما في قوله سبحانه :

ـ ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم ﴾ (المائدة ١٠٥)

وتـرد الضميمة المنعكســة في موقـع المجرور بحرف جر أصلي كما نجد ذلك في الشواهد القرآنية الآتية :

ـ ﴿ إلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِه ﴾ (آل عمران ٩٣)

ـ ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَة ﴾ (الأنعام ١٢)

ـ ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِه ﴾ (يوسف ٧٧)

ـ ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (طه ٦٧)

ـ ﴿ واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (طه ٤١)

ـ ﴿ أَوْ أَكْنَنْتُم فِي أَنْفُسِكم ﴾ (البقرة ٢٣٥)

ـ ﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكم ﴾ (التوبة ٣٥)

ـ ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُم ﴾ (الاسراء ٧)

ـ ﴿ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ (الأنعام ١٣٠)

ـ ﴿ أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِم ﴾ (المائدة ٥٢)

ـ ﴿ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾ (الأنعام ٢٤)

ـ ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾ (الأنعام ١٣٠)
ـ ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِم ﴾ (الأنبياء ٦٤)
ـ ﴿ لَقَد اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِم ﴾
(الفرقان ٢١)
ـ ﴿ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾ (الزمر ٥٣)
ـ ﴿ فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة ٢٤٠)
ـ ﴿ فَإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِه ﴾ (النساء ١١١)
ـ ﴿ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَفْسِه ﴾
(التوبة ١٢٠)
ـ ﴿ فَمَن اهْتَدَى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (يونس ١٠٨)
ـ ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه ﴾
(النمل ٤٠)
ـ ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِه ﴾
(العنكبوت ٦)
ـ ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾
(فاطر ١٨)
ـ ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾
(محمد ٣٨)

ـ ﴿ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
(الفتح ١٠)
ـ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا ﴾
(النحل ١١١)
ـ ﴿ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا ﴾
(الأعراف ١٨٨)
ـ ﴿ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ (يوسف ٥٤)
ـ ﴿ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ﴾ (سبأ ٥٠)
ـ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾ (البقرة ١١٠)
ـ ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَا لاَ يُبْدُونَ لَك ﴾ (آل عمران ١٥٤)
ـ ﴿ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجا ﴾
(النساء ٦٥)
ـ ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِم ﴾
(الأنعام ١٢٣)
ـ ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم ﴾ (الروم ٨)
ـ ﴿ فَلِأَنْفُسِهِم يَمْهَدونَ ﴾ (الروم ٤٤)

ـ ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِم لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا الله ﴾
(المجادلة ٨)

ـ ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة ٢٣٤)

ـ ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم ﴾ (البقرة ٢٢٣)

ـ ﴿ فادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُم الْمَوْت ﴾ (آل عمران ١٦٨)

ـ ﴿ بَل الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة ﴾
(القيامة ١٤)

ـ ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾
(الأنعام ١٠٤)

ـ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه ﴾
(فصلت ٤٦)

وترد الضميمة المنعكسة مع اسم الفاعل دون فاصل مجرورة بحرف جر أصلي كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَهوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِه ﴾ (الكهف ٢٥)

ـ ﴿ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بالكُفْر ﴾
(التوبة ١٧)

وترد مفصولة بـ (ولو) ، كما في قوله جلّ شأنه :

ـ ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكم ﴾

(النساء ١٣٥)

وظاهر أن الضميمة المنعكسة المجرورة بحرف جر أصلي غير محفوظة الرتبة ، كما هو شأنها إذا كانت غير منعكسة ، فهي ترد بعد الفاعل ، وبعد المفعول ، ومقدمة على المفعول ، ومقدمة على الخبر ، ومقدمة على الفعل والفاعل ، ومحصورة بـ (إلاَّ) وخبراً لمبتدأ محذوف .

وترد الضميمة المنعكسة في موقع الجر بإضافة المصدر إليها كما في قوله جل شأنه :

ـ ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه ﴾ (الحشر ٩)

ـ ﴿ مَا يَكُونُ لي أَنْ أُبدِّلَهُ مِنْ تلقَاءِ نَفْسِي ﴾

(يونس ١٥)

ـ ﴿ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الكهف ٥١)

ـ ﴿ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهم ﴾

(الأنبياء ٤٣)

وترد في موقع المجرور بحرف جر زائد في محل رفع فاعلاً ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾

(الاسراء ١٤)

٣ ـ تعود الضميمة المنعكسة على ضمير بارز متصل ، أو على ضمير مستتر ، أو على اسم ظاهر كما ظهر في الشواهد السابقة .

٤ ـ تطابق الضميمة المنعكسة ما تعود إليه في الشخص والنوع والعدد .

٥ ـ من الممكن أن يحل محل الضميمة المنعكسة عنصر لغوي آخر ، وليس في اللغة العربية أفعال لا تستخدم إلا منعكسة ، على نحو ما نجد ذلك مستخدماً في اللغة الألمانية(١) .

٦ ـ يجوز أن تبنى الأفعال للمجهول مع الضميمة المنعكسة ، على ألا تكون الضميمة المنعكسة نائب فاعل ، بل يظل لها موقع النصب ، كما في قوله تعالى :

ـ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ (النساء ٨٤)

---

(١) Gerbe: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache. Duden 4S. 76.

٧ ـ تستخـــدم الأفعـال المنعكســـة من حيث دلالـة الصيغة والزمن استخدام الأفعال غير المنعكسة .

٨ ـ يجوز أن ينحصر الضمير المنعكس عليه ، أي : ضمير الفاعل ، بـ (إلا) فينفصل . ولا تصبـح هناك حاجة إلى كلمة « نفس » كما في قولك : ما ضربك الا أنت وقد أجازه النحاة[1] .

٩ ـ يجوز أن ترد الضميمـة المنعكسة معـطوفة على ضميمة غير منعكسة ، كما في قوله تعالى :
ـ ﴿ فَقُـلْ تَعَالَـوْا نَدْعُ أَبْنَـاءَنَا وَأَبْنَـاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُم ﴾ (آل عمران ٦١)

١ـ ترد الضميمة المنعكسة عائدة على المفعول به ، كما في قوله تعالى :
ـ ﴿ وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾
(الأعراف ١٧٢)
إذ المفعـول به هنـا فاعـل في المعنى ،

---

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٢٨٦ .

فالمعنى ـ والله أعلم ـ : جعلهم يشهدون على أنفسهم ، بدليل قولهم في الإجابة عن السؤال الذي وجه إليهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُم ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، قال الزمخشري : « أي : على أنفسنا »[1] ومثل ذلك قوله تعالى :

ـ ﴿ فَأَنْسَاهُم أَنْفُسَهم ﴾ (الحشر ١٩)

١١ ـ قد ترد الضميمة المنعكسة مقلوبة ، أي : آخذة موقع ما تعود عليه ، تحقيقاً لغرض بلاغي ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (طه ٩٦) بدل سولت لنفسي

ـ ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُم أَمْراً ﴾ (يوسف ١٨) بدل : سولتم لأنفسكم أمراً

ـ ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُم ﴾ (آل عمران ١٥٤) بدل : أهموا أنفسهم

ـ ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُم ﴾

---

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (القاهرة ١٩٥٣) ٢ /١٣٧ .

(المائدة ٨٠) بدل : قدموا لأنفسهم

١٢ ـ قد تقوم (ال) متصلة بـ (نفس) بوظيفة الضمير المنعكس كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى ﴾

(النازعات ٤٠)

أي : نفسه[١] .

والآن بعد أن تم لنا الوصف التركيبي للضميمة المنعكسة يجدر بنا أن نعود إلى القاعدة الثانية التي وضعناها فنجري عليها التعديل الأخير ، حتى يمكن أن « تولد » بها كل الجمل الصحيحة التي ذكرناها ، وتكون صالحة لتوليد غيرها من الجمل الصحيحة :

القاعدة الثانية :

الضميمة الاسمية التي تطابق ضميمة اسمية أخرى سابقة عليها في جملة واحدة هي ضميمة منعكسة .

---

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (القاهرة ١٩٥٤) ٣٠ / ٤٨ .

ولما كانت هـذه القاعـدة تشمل الآن القـاعدة الأولى ، وتغنى عنها ، فإننـا نختصر القـاعدتين في قاعدة واحدة إجبارية هي :

القاعدة : (إجبارية) :

الضميمة الاسمية التي تـطابق ضميمة اسميـة أخـرى سابقـة عليها في جملة واحـدة هي ضميمـة منعكسة .

ثانياً : الوصف الدلالي :

١ ـ تتحقق العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشـواهد السابقة بين عنصـرين لغويين أحـدهما منعكس والآخـر منعكَسٌ عليه ، والمنعكَسُ عليـه فيمـا أوردناه من أمثلة وشواهد يتسم بسـمتين مميزتين distinctive features همـا : [+ حى] ، [+ بشرى] .

٢ ـ وردت العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشـواهد السابقة تامة ، لكن الرضى في شرح الكافية أشار إلى جواز أن تكون علاقة الانعكاس جزئية ، فقد أورد المثال الآتي : رأيتُنَا مع رسول الله صلى الله

تعـالى عليـه وسلم ، أي : رأيتُنِي ومن معي ، وأورد أيضـاً قولهم : رأيتُمـاكَ تقـول كـذا[1] ، فالضمير المنعكس هنا يعود على بعض المنعكس عليه .

٣ ـ يجـوز أن تكون العـلاقـة الانعكـاسيـة تبـادليـة reciprocal يصير فيها فعل الانعكاس متبادلاً بين الفاعلين ، وذلك في نحو قوله تعالى :

ـ ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُم ﴾ (النور ٦١)

ـ ﴿ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكم ﴾ (البقرة ٨٥)

ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكم ﴾ (النساء ٢٩)

ـ ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُم مِنْ دِيَارِكُم ﴾ (البقرة ٨٤)

ـ ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (الحجرات ١١)

ـ ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (البقرة ٥٤)

ـ ﴿ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (النساء ٦٦)

ـ ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (الأنعام ٩٣)

---

(١) الرضي : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨٥ .

وأكثر ما يكون ذلك إذا كان الفاعل جمعاً .

٤ ـ لا تتحقق العلاقة الانعكاسية ـ في غير أفعال القلوب ـ إلّا من خلال حدث يمكن أن ينعكس على الفاعل أو يعود عليه ، فإذا لم يكن الحدث صالحاً للانعكاس لم يصح استخدام الضميمة المنعكسة معه ، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

أ ـ أتممت العمل

ب ـ *أتممت نفسي

أ ـ تسلمت الجائزة

ب ـ *تسلمت نفسي

أ ـ ذقت الطعام

ب ـ *ذقت نفسي

أ ـ قطفت الثمار

ب ـ *قطفت نفسي ... الخ

٥ ـ يتحقق معنى الانعكاس دون ضميمة منعكسة ببعض صيغ الأفعال المزيدة التي تعبر عن معنى أفعال مجردة أو مزيدة مستخدمة مع ضميمة منعكسة ، ومن ذلك صيغة (افتعل) ، كما يتضح ذلك فيما يأتي :

ـ المرأة غسلت ثيابها

* المرأة غسلت المرأة (إذا كانت المرأة في الموضعين شخصاً واحداً)

المرأة غسلت نفسها

المرأة اغتسلت

وقد عرض بروكلمن لبعض ذلك ، فذكر أن صيغة (تفعَّل) صيغة انعكاسية لـ (فَعَّل) مثل : تكبَّر (= كبَّر نفسه) sich gross machen ، ومثل تنبأ (= ادعى النبوة لنفسه) sich als propheten stellen ، وذكر أن صيغة (تفاعل) صيغة انعكاسية لـ (فاعل) مثل : تقاتلوا (= قاتلوا أنفسهم) sich gegenseitig bekämpfen ، وقال : نادراً ما تحمل صيغة (تَفَاعَلَ) معنى الادعاء مثل : تناوم (= ادعى النوم لنفسه) sich schlafend stellen ، كما ذكر أن كلا من صيغة (انفعل) مثل : انهزم ، و(استفعل) صيغة انعكاسية لـ (أفعل) مثل : استوحش sich betrüben ، ثم قال : ومن الشائع أن تدل هذه الصيغة على رغبة شخص في تحقيق شيء لنفسه ، مثل : استغفر(١) .

(١) Brockelmann, C. : Arabische Grammatik (Leipzig 1960[14]) S. 38-40.

على أن لهذه الصيغ معاني أخر تجدها مبسوطة في كتب الصرف ، وقد أفرد لها أحد الباحثين كتاباً[(١)] .

وقد تتبعت ما ذكره الرضى في شرح الشافية من معاني هذه الصيغ مما قد يدل على الانعكاس ، فلم أجده أثبت لـ (انفعل) المعنى الذي ذكره بروكلمن لها ، لكنه قال في (تَفَاعَل) : تغافلت : أظهرت من نفسي الغفلة ، وأثبت لـ (تفعَّل) معنى التكلف ، وهو حمل النفس على أمر فيه مشقة ، مثل : تحلَّم ، وتمرَّأ ، أي : تكلف الحلم والمروءة ، وقال في : (افتعل) : والظاهر أنه لاتخاذك الشيء أصله لنفسك ، فاشتوى اللحم أي : عمل شواء لنفسه ، وامتطاه : جعله لنفسه مطية ، وكذا : اغتذى ، وارتشى ، واعتاد ، وقال في (استفعل) : استعجلت زيداً أي : طلبت عجلته ، فإذا كان بمعنى عجلت ، فكأنه طلب العجلة من نفسه[(٢)] .

---

(١) هاشم طه شلاش : أوزان الفعل ومعانيها (النجف ١٩٨١) .

(٢) الرضي : شرح شافية ابن الحاجب . تحقيق : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت ١٩٨٢) ١ /٩٢ وما بعدها .

ثم قال بعد أن سرد معاني الصيغ : « واعلم أن المعاني المذكورة للأبواب المتقدمة هي الغالبة فيها ، وما يمكن ضبطه ، وقد يجيء كل واحد منها لمعان أخر كثيرة لا تضبط ، كما تكررت الإشارة إليه »[1] .

٦ - ينبغي ألا تلتبس الضميمة المنعكسة (نفسه) وأخواتها بالضميمة المؤكدة التي تتفق معها لفظاً وتختلف معنى ، فهي في الأولى عنصر إجباري دال على انعكاس الحدث على الفاعل ، ولا يمكن حذفه دون أن تختل الجملة تركيباً ودلالة ، وهي في الثانية عنصر اختياري يؤكد اسماً في الجملة برفع الاحتمال عنه ، وحذفه لا يخل بتركيب الجملة ، ولا بمعناها الأصلي ، إذا استغنينا عن المعنى الإضافي الذي يفيده التوكيد .

وأريد أن ألفت في ختام هذا البحث إلى أن بعض الشعراء المعاصرين أخذوا يستخدمون الضميمة

---

(١) السابق ١ /١١٣ .

المنعكسة استخداماً يخرج بها عن القاعدة ، لا جهلاً منهم بها ، بل اجتراء عليها ، ومن هؤلاء الشاعر محمد أبو دومة ، فقال في بعض قصائده :

ـ لكنى لم أعبأ بى
لم أتريث
واصلت لعلي أغفر لي إثمي[١]

وقال في موضع آخر :

ـ بغيبته أسافر فيه ، أدخله لأعرفني
وأومن بي[٢]

وبعد . فهذا هو الوصف التركيبي والدلالي للضمائر المنعكسة ، وما تتصل به من أفعال تسمى أفعالاً منعكسة أيضاً ، عرضت له من خلال المادة اللغوية الواردة في القرآن الكريم ، وما ورد في كتب النحو العربي التراثي ، وأفدت فيه من مناهج الدرس اللغوي الحديث والمعاصر عند الغربيين ، ومن نحاة بعض اللغات الأخرى في رصدهم لهذه الظاهرة في

---

(١) محمد أبو دومة : أتباعد عنكم فأسافر فيكم (القاهرة ١٩٨٨) ص ٥٤ .

(٢) السابق ص ٨٧ .

لغتهم ، ومن نـظرات بعض المستشرقين . ولعلى أكون بهذا البحث قد جلوت غامضاً ، أو استدركت فائتاً ، أو أضفت جديداً .

المصادر والمراجع

أ ـ العربية :

ابن جنى ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢)

ـ **الخصائص** . تحقيق محمد على النجار (القاهرة ١٩٥٢) .

رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦) .

ـ **شرح شافية ابن الحاجب** . تحقيق : محمد.نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت ١٩٨٢ [٢])

ـ **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب** (القاهرة ١٣١٠ هـ)

الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨ هـ) .

ـ **المفصل في علم العربية** (بيروت د . ت) .

ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ هـ) .

ـ **الأصول في النحو** . تحقيق : د . عبد الحسين الفتلى (بيروت ١٩٨٧ [٢]) .

سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) .
ـ **الكتاب** . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٨٧) .
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ هـ) .
ـ **الأشباه والنظائر في النحو** (بيروت ١٩٨٤).
ـ محمد أبو دومة : **أتباعد عنكم فأسافر فيكم** (القاهرة ١٩٨٨) .
ـ محمد فؤاد عبد الباقي : **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (القاهرة د . ت) .
هاشم طه شلاش :
ـ **أوزان الفعل ومعانيها** (النجف ١٩٧١) .
ابن يعيش ، موفق الدين يعيش على بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) .
ـ **شرح المفصل** (المنيرية ، القاهرة د . ت) .

ب ـ الأجنبية :

Brockelmann, C: Arabische Grammatik (Leipzig 1960)[14]

Grebe, P: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache. Duden 4 (Mannheim 1973).

Helbig, G& Buscha, J: Deutsche Grammatik. Ein Handbuch Für den Ausländerunterricht. (Leipzig 1980).

Perlmutter, D& Soame, S: Syntactic Argumentation and the Structure of English. (U. S. A 1979).

Thomson, A. J. & Martinet A. V.: A Practical English Grammar (Oxford 1980[3]).

Wright, W: A Grammar of the Arabic Language. (Beirut 1974[3]).

Zandvoort, R. W: A Handbook of English Grammar. (London 1975[7]).